ثقافة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في محكم كتابه: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والصلاة والسلام على النبي الكريم الذي أيده الله بنصره وبالمؤمنين وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه المنتجبين، وبعد:

ما أحوجنا لثقافة النصر مع ثقافة الشهادة التي أصبحت بفضل الله ثقافة عامة بين أبناء الشعب اليمني الأحرار الذي يعيش ثقافة الشهادة واقعاً ويؤمن بالنصر المتحقق وبالنصر الآتي بإذن الله تعالى، ويعرف العلاقة بين الشهادة والنصر.

فالشهادة اختيار إلهي لشخص الشهيد ونصر شخصي له، بينما النصر هو وعد إلهي للمؤمنين المجاهدين كجماعة وليس أفراداً..

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ

إعداد

رابطة علماء اليمن

وكما رأينا الشهداء يرتقون في خط الجهاد، ورأينا بشائر النصر في شتى الجبهات فسنرى بإذن الله تعالى تحقق الوعد الإلهي بالنصر النهائي على قوى الاستكبار، وهذا مما لا شك فيه لأنه حتمي ومؤكد وسنة إلهية جارية يقول تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

ونحن كشعب يمني - صامد رغم العدوان والحصار والمعاناة والحرمان -نلمس إقتراب تحقق بشرى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للأمة بالنصر من اليمن حيث قال: «إني لأجد نفس الرحمن من ها هنا وأشار إلى اليمن» ونفس الرحمن المقصود به النصر والفرج.

وهذا المنشور الذي بين أيديكم يتحدث عن ثقافة النصر إحدى الحسنيين التي يجب أن نتثقف بها كما نتثقف بثقافة الشهادة، وكلاهما من صلب الثقافة القرآنية في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾.

النصر من عند الله حصرياً

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ويقول: ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فالنصر من عنده سبحانه وحده، ولا يستطيع أحد مهما بلغت قوته وأمواله وأسلحته وجيوشه، ومهما امتلك من تكنولوجيا وتطور وامكانات وقدرات عسكرية وإعلامية واقتصادية وغيرها، ومهما عقد من التحالفات مع أقوى الدول لا يستطيع أن يقف مانعًا أو عائقًا أو حاجزًا أمام تحقق الوعد الإلهي بالنصر، بل لا يستطيع العالم كله ولو اجتمع أن يمنع نصر الله تعالى، ولا يستطيع

كذلك أن يمنحه لأحد مهما فعل، يقول سبحانه: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فالنصر لا يُشترى بكثرة الأموال، ولا يُؤخذ بالقوة وبكثرة العتاد والعدة والعدد ، وإلا لكان العدوان السعودي الأمريكي قد اشتراه، أو أخذه نظرًا لما يمتلك من أموال وأسلحة ودعم عربي وإقليمي ودولي.

من يستحق النصر من الله؟

يقول تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمؤمنون هم من يستحقون النصر، وهم من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ومن خلال الآية الكريمة يتضح أن علامة الإيمان الصادق والواعي والعملي والحقيقي هو بيع النفس والمال من الله بالقتال والجهاد في سبيله مقابل الجنة لا بمقابل دنيوي كثمن للجهاد كالحصول على منصب أو قطعة سلاح أو وجاهة أو مال أو شيء من حطام الدنيا الزائل، فمشروع المؤمنين متعلق بالآخرة ومرتبط أساساً بالعمل في الحياة الدنيا على نيل العزة وإقامة دولة الحق والعدل يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهم إما أن يعيشوا أعزاء أو يسقطوا في ساحات القتال كرماء يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾.ولهذا فالمؤمنون هم من سيفرحون بنصر الله حين يأتي لأنهم من ضحوا وقدموا وبذلوا الغالي والرخيص يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

عوامل الحصول على النصر

نصر الله تعالى لا شك في مجيئه إذا ما توفرت شروطه وعوامله، فمعادلته في القرآن الكريم يوضحها الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ويقول: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فكيف ننصر الله؟ وعلى من ننصره لكي ينصرنا؟ وللإجابة على ذلك يجب أولاً أن نأخذ في الاعتبار أن الله تعالى غني عنا وليس ضعيفاً حتى يستنجد بنا يقول الإمام علي عليه السلام: (فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً).

وقد وضح سبحانه كيف ننصره لكي ينصرنا بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فعلينا أن ننصر الله بإقامة دينه وبسط العدل بين الناس والجهاد والتحرك في الواقع بالوسائل المتاحة وبالأخذ بالأسباب والتي أشارت إليها الآية الكريمة في عبارة ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ والتي نستلهم منها الإعداد والتسليح والتصنيع العسكري، وبالتطوير والتحديث وليس بالاكتفاء بالحاصل والموجود وليس بمجرد الدعاء بدون تحرك.

وقد جمع الله سبحانه عوامل النصر الأساسية في القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُون * وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ

الصَّابِرِين * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فعوامل النصر على مقتضى الآيات هي:

العامل الأول: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ وهو المواجهة والجهاد، ومن البديهي أن الحديث عن النصر من حيث المبدأ يقتضي المواجهة مع أعداء الله والتحرك في الميادين وخوض غمار المعارك ضدهم، لأن محل النصر هو الميدان، وإلا فينصر الله مَنْ على مَنْ إذا لم تكن هناك مواجهات؟ وهذا يناقض تماماً القعود في البيوت والتنصل عن المسؤولية بترك الجهاد في سبيل الله، يقول الله تعالى عن النصر كأحد مكاسب الجهاد: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالنصر يأتي من الجبهات ويأتي بالتضحية في ميادين الحروب وساحات المعارك، ويأتي بالنفير للقاء العدو مهما عظمت فئته، يقول تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ ويقول: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فالميزان وعامل النصر هو الإيمان والإقدام والعزم والمواجهة مع الأخذ بالأسباب، وليس العدد والعدة ولا القلة والكثرة يقول تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

العامل الثاني: ﴿فَاثْبُتُوا﴾ والثبات هو حالة استقرار إيماني قابل للزيادة وغير قابل للنقص، واطمئنان وسكون نفسي مستمر، وهو عكس حالة القلق والفزع والرعب والخوف من العدو والاضطراب والشك والتردد والإحباط واليأس والقنوط، والتي يكون حاصلها الفرار والانهزام والتراجع في الميدان، فالثبات شعور بالقوة من منطلق الثقة المطلقة بالله تعالى، ومن المعرفة الصحيحة والحقيقية بواقع العدو الهش مهما امتلك من إمكانيات ومهما كان عدده ومهما طالت مدة

الصراع معه، فالثبات النفسي والإيماني والمعنوي يولد الثبات الميداني والواقعي، والإيمان بتأييد الله تعالى وتدخله لصالح المؤمنين ومدهم بملائكة تثبتهم وقذفه الرعب في قلوب الأعداء تزرع حالة الثبات أيضاً، يقول تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

العامل الثالث: ﴿وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا﴾ فذكر الله الدائم والمستمر هو عملية أساسية يقتضيها الإيمان ولها علاقة مباشرة بمسألة الثبات والنصر، إذ المؤمن ينطلق ليقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، والأعداء من المرتزقة والعملاء والخونة والأعراب يقاتلون لتكون كلمة أمريكا هي العليا، ولا وجه للمقارنة بين هذا الهدف وذاك ولا بين قوة الله وقوة أمريكا، ومن هنا يصغر الأعداء في عين المجاهد الذاكر لله تعالى، ولأن المعارك تحدث فيها أهوال وشدائد فَذِكْر الله لا بد أن يكون دائماً ومستمراً وكثيراً حتى يكون المؤمن المجاهد في حالة التجاء دائم بالله واستقواء مستمر به، وفي حالة دائمة من الثقة بوعود الله بالنصر والتمكين وبفضل اختيار الله للشهداء، مما يدفعه إلى التحرك أكثر برغبة ونشاط وحيوية في مواجهة الأعداء، إضافة إلى أن ذكر الله يؤدي إلى الخشية من تحذيره من الفرار المؤدي إلى سخطه وعذابه.

العامل الرابع: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ فطاعة الله ورسوله تعني المبادرة والمسارعة فيما يرضيهما، ومن أكثر ما يرضي الله تعالى هو الجهاد والبذل والإنفاق والعطاء والتضحية، والطاعة أيضاً تعني اجتناب المعاصي بكل أشكالها خصوصاً ونحن في حالة جهاد ضد عدوان عالمي من وسائله الإفساد الأخلاقي ونشر

الإلحاد في أوساط المجتمع تحت مسميات وفرق معينة ظاهرها الإسلام ومضمونها الإلحاد، والهدف المشترك لها جميعاً التخذيل عن جهاد الأعداء.

والتوبة من المجاهدين بشكل خاص والمجتمع بشكل عام هي تهيئة النفوس لتكون جديرة بنصر الله تعالى، لأن التوبة هي حالة اعتذار من الله تعالى عن الأخطاء والتقصير والنسيان، وتخلص من تبعات الذنوب والمعاصي والآثام والمال الحرام، وعودة صادقة إلى خط طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، والمضي على هذا الخط، والتوبة يجب أن تكون عامة سواء من الذنوب الجماعية على مستوى المجتمع أو الفردية على مستوى الفرد كحرمان النساء من المواريث والتعامل بالربا وعدم إخراج الزكاة وعقوق الوالدين وترك أو قطع الصلاة وإيذاء الجيران وقطع الأرحام وغيرها، وإذا كان من مكاسب الجهاد هو غفران الذنوب وتكفير السيئات لأن الله يريد التخفيف عنا لنكون جديرين بأن يمنحنا نصره، فكيف سيكون الحال حين يستمر الناس في الذنوب ومن أعظمها القعود عن الجهاد في سبيله وخذلان القيادة المؤمنة الملتزمة؟ ولذا يقول الله سبحانه عن وعي النخبة المؤمنة (الربيون) أنهم يبادرون بالتوبة إلى الله وهم في الميدان في ساحة المعركة والقتال خوفاً من أن تكون الذنوب عائقاً أمام الحصول على النصر، وثغرة تُمكن الأعداء منهم، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

العامل الخامس: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فوحدة الصف والجبهة الداخلية هي الصخرة التي تتحطم عليها مكائد ومؤامرات الأعداء الماكرة، ومن أكثر ما يراهن عليه العدوان هو تفتيت الجبهة الداخلية وتمزيق النسيج الاجتماعي،

ومحاولة إذكاء النعرات المناطقية والعنصرية والطائفية.

فالتنازع معناه سحب جزء كبير من الجهد والوقت والامكانات التي في مواجهة العدو لخوض صراع داخلي بين المجاهدين أنفسهم أو بين القوى الوطنية المناهضة للعدوان، حيث تطغى حالة التنافس على المناصب والمكاسب وتبادل الاتهامات وتكثر المناكفات والغمز واللمز عبر وسائل الإعلام المختلفة، وتحميل تبعات ما يجري على هذا الطرف أو ذاك، والخلاصة أن التنازع هو فتح جبهة مجانية للعدو في العمق وتبرع لخوض الصراع في هذه الجبهة لصالحه من قبل المتنازعين، فيكون المتنازعون أسوأ حالاً من المرتزقة والعملاء الذين يتقاضون مالاً من الأعداء مقابل عمالتهم وارتزاقهم، بينما المتنازعون يخدمون الأعداء بالمجان، فالتنازع ينتج الفشل أمام العدوان وذهاب التأييد الإلهي والهيبة التي هي الرعب الذي يقذفه الله في قلوب الأعداء، والتي تؤثر في معنوياتهم على بعد مسافات شاسعة.

العامل السادس: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِين﴾ الصبر من أهم عوامل النصر، لأن الصبر هو التحمل في ميدان العمل وفي واقع الأعباء الجهادية وهو حركة دؤوبة في خط الحق وعنصر أساسي في المواجهة يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ﴾ وليس الصبر كما يعتبره البعض القعود والذلة والجمود، والتفرج على قصف الطيران ومجازر العدوان دون التحرك في مواجهته، بل هو عهد مع الله بالاستمرار بالجهاد رغم المتاعب والمعاناة ومهما كانت التضحيات حتى يأتي الله بالنصر والفتح أو بأمر من عنده.

فالصبر هو قوة الإرادة وكسر لإرادة العدو الذي يراهن على عامل الوقت والزمن،

ويراهن على كثرة المجازر والزحوف ويراهن على استسلام الشعب جراء معاناته في الجانب المعيشي بسبب حصاره وتوقيفه للمرتبات، والصبر الذي يسميه البعض بالصمود هو الذي يقي الساحة الجهادية من الوهن والضعف والاستكانة يقول الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

وأهمية الصبر في مسألة النصر أن الجهاد هو ابتلاء للناس ويحتاج هذا الابتلاء إلى الصبر، الصبر على المتاعب والجراح والمعاناة والتضحيات والشهداء والأزمات يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

العامل السابع: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحذر الله تعالى المؤمنين المجاهدين من أن يكون خروجهم كخروج أهل الباطل الذين يخرجون بطراً فلا قضية لهم إلا الكبر والطغيان والبغي، ويخرجون رئاء الناس أمام الإعلام ومن أجل الفخر ومن باب العجب والغرور ومن أجل نيل مدح الناس وثنائهم ومن أجل السمعة، ويخرجون صداً عن سبيل الله كما يفعل النظام السعودي والإماراتي ومرتزقتهما ومن تحالف معهما فلا بد أن يكون الخروج للقتال نابعاً من القضية المقدسة ومن منطلق الإخلاص وفي سبيل الله.

متـــى يأتـي النصـــر؟

سنة الله تعالى في النصر وتوقيت مجيئه ذكرها في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ واستيئاس الرسل هنا هو من إيمان المكذبين لهم، فبعد التكذيب وشدة الإيذاء للرسل وبعد صبرهم وفي أشد اللحظات التي مروا بها جاءهم نصر الله، وإذا كانت هذه قاعدة مرتبطة بالرسل وهم أقرب الناس إلى الله وأكرمهم عنده، فهي كذلك قاعدة لمن دونهم من المؤمنين، وقد قرر الله سبحانه هذه القاعدة بالنسبة للمؤمنين في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ فلا يأتي النصر حسب الآية الكريمة إلا بعد الابتلاء الشديد وفي اللحظات الحرجة وفي المنعطفات الخطيرة والاستثنائية، وبعد المرور بحالة (الْبَأْسَاء) وهي بؤس الفقر والذي يتمثل اليوم فيما نراه من حالة الناس المعيشية جراء تأخر المرتبات لعدة أشهر والوضع الاقتصادي الحرج بسبب الحصار، وبعد المرور أيضاً بحالة (الضَّرَّاء) وهي التضرر بالأمراض والجراحات والتي تتمثل اليوم بجرحى الجبهات وجرحى القصف الجوي والأمراض المنتشرة ويتضاعف الضرر بانعدام الأدوية والعقاقير الطبية بسبب الحصار، وبعد المرور كذلك بحالة (وَزُلْزِلُوا) وهي زلزلة الحروب والزحوف والحشود والتهويل الإعلامي والإرجاف والشائعات.

الحكمة من فترة الابتلاء قبل النصر

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ وحكمة فترة الابتلاء قبل النصر يمكن إجمالها في التالي:

فترة فرز وتمييز

فترة الابتلاء هي فترة فرز وتمييز بين الخبيث والطيب يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

وفرز وتمييز بين المجاهد والقاعد يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ ويقول سبحانه:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فهل نتصور ونعتقد أن نُتْرَكَ بدون ابتلاء جهادي نتولى فيه أولياء الله ونتبرأ من أعدائه، ومن خلال هذا الابتلاء يتميز المؤمنون المجاهدون من العملاء والخونة والمرتزقة الذي يتولون اليهود والنصارى أمريكا وإسرائيل ويتخذونهم من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة وبطانة.

وهذه الفترة الابتلائية أيضاً هي فترة اصطفاء واختيار إلهي للشهداء يقول تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فينال بذلك الشهداء أعلى الدرجات مع النبيين والصديقين في دار النعيم والخلود الأبدي.

فترة خير وتجارة رابحة

فترة ما قبل النصر أيضاً هي فترة تجارة رابحة وفترة خير باعتبارها فترة جهادية، فالجهاد في حقيقته خير وليس شراً كما يراه البعض من قاصري الوعي وضعفاء الإيمان، وقد يدخل اعتقاد أنه شر في باب التكذيب بآيات الله في القرآن الكريم فالله تعالى يقول: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقد حذر الله تعالى على وجه الخصوص من ترك القتال في سبيله، لأنه أكثر مجال جهادي يترتب عليه الشهداء والإصابات والمعاناة والجراحات والخسائر المادية والبشرية حسب ظنهم، وأكد على أنه خير قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وكما هو واضح في أحداث التاريخ وفي الأحداث المعاصرة فكلفة وفاتورة وضريبة الجهاد قليلة مقابل كلفة وفاتورة وضريبة الاستسلام والخضوع والهزيمة والذلة والخنوع والقعود والتخاذل والتكاسل والتفريط، ففي درب الجهاد يستشهد نسبة قليلة من المجاهدين ويدركون رضوان الله ويتركون وراءهم العزة والكرامة والنصر لمن خلفهم من رفاقهم وشعبهم وأمتهم، وفي حالة القعود والاستسلام فإن الناس سيُقتلون بكثرة وبطرق مهينة ولا يُحسبون شهداء، بل يكون قتلهم سخطاً من الله تعالى وما ينتظرهم في الآخرة أشد وأنكى، وكل التضحيات التي تُقدم بالجهاد في سبيل الله رغم عظمتها إلا أنها قليلة أيضاً مقابل ما سيحصل عليه الناس بالنصر بفضل الله تعالى، فإذا حسبنا المسألة بقضية الربح والخسارة سنجد أنفسنا رابحين ونحن في خط الجهاد والمواجهة والتضحية والصبر والصمود

ونحن في ظل هذه الظروف، وكم كنا سنخسر كثيرًا لو قعدنا واستسلمنا، فالتضحيات مهما عظمت إلا أنها قليلة مقابل ما كنا سنخسره فيما لو استسلمنا وقعدنا وخضعنا، وستكون قليلة أيضاً مقابل ما سنحصل عليه بعد النصر إن شاء الله.

فـــترة إيمانيـــة

فترة ما قبل النصر هي كذلك فترة إيمانية، لأن الإيمان بالنصر هو جزء من الإيمان بالله ولا ينفع إلا بالتحرك قبل حصوله كون حصوله مرتبطاً بالتحرك، والإيمان به عامل مهم في التحرك فمن يتحرك وهو متيقن من النهاية والعاقبة بتحقق الوعد الإلهي بالنصر يتضاعف تحركه، ولا يمكن أن يتسرب إليه اليأس ولا يمكن أن يفكر في الهزيمة أو الاستسلام أو القعود أو الخضوع أو الذلة على الإطلاق.

أما حين يحصل النصر ويتحقق - إن شاء الله - فسيصبح واقعًا ملموساً ومعلوماً، وسيقول الكثير من الناس - ممن كانوا يائسين منه وغير مؤمنين به - سيقولون: صحيح لقد جاء نصر الله. لكن بعد أن فاتهم شرف الجهاد في سبيل الله وتحملوا وزر القعود عنه، بل إن البعض منهم سيتسلقون بعد النصر ويقفزون مهرولين لطلب المناصب، وسيختلقون لهم تاريخًا جهاديًا وسيرددون بالقول عبارة: لقد انتصرنا. وسيسردون بطولات وملاحم وتضحيات من نسج خيالهم، وسيحاولون استثمار دماء الشهداء الزكية من أقاربهم أو من أبناء مناطقهم بأنهم قدموا شهداء، وهم من كانوا يستهزءون ويسخرون منهم قبل النصر.

ففترة ما قبل النصر هي فترة إيمانية بامتياز تتجلى فيها الفوارق الإيمانية بين المجاهدين بشكل خاص وبين الواقفين ضد العدوان بشكل عام، يقول تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فقسمت الآية الواقفين ضد العدوان إلى قسمين:

القسم الأول: هم من يتحركون ولكنهم يضعفون إيمانياً ويكادون أن يتراجعوا حين يرون إمكانيات العدو وأسلحته ومرتزقته وتحالفاته وأمواله وجيوشه؛ لأنهم يحملون ثقافة ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ والقسم الثاني: هم المؤمنون المجاهدون الواثقون بالله تعالى والمتوكلون عليه والذين يتثقفون ويثقفون غيرهم بثقافة ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ لأنهم من المؤمنين الذين لم يرتابوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم كما قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحُجُرات:١٥].

وهذه الفترة الإيمانية هي فترة ازدياد ورسوخ الإيمان في قلوب المجاهدين في مواجهة الإرجاف، لكي تسد الفارق بين امكاناتنا وعددنا وبين امكانات العدو الضخمة وعدده الكبير، فهي فترة لزيادة الإيمان على عكس شعور ضعفاء الإيمان والمرجفين والقاعدين والخانعين الذين ترتجف أقدامهم وتنخلع قلوبهم أمام إمكانيات العدو الإعلامية والعسكرية وينهزمون أمام الحرب النفسية قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

وهنا نقطة مهمة جدًا وهي أن من أهم وسائل العدو وأساليبه: الإرجاف والإشاعات داخل صفوف المؤمنين لئلا يفكروا في مواجهته أو لكي ينهزموا

إذا واجهوه، لأنه يعرف ماذا يعني أن يواجهه المؤمنون العاشقون للشهادة والمستبشرون بالنصر والساعون لرضاء الله والباذلون للنفس والمال، فيسعى لضرب الإيمان في قلوب المؤمنين ليتمكن من الفتك بهم على أرض الواقع دون أن يخسر شيئًا، لكن النتيجة لدى المؤمنين تكون بالنسبة للعدو عكسية حيث يحصل زيادة الإيمان والثبات مقابل ما كان يخطط له من خلال إرجافه وإشاعاته من زرع الخوف في قلوبهم ليتمكن منهم.

ففي مرحلة الشدة يزداد إيمان المؤمنين ويتسع الأفق أمامهم ويقترب النصر أكثر منهم، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة في إيمانه ويقينه بصدق وعد الله تعالى في أحلك الظروف وأشد اللحظات في غزوة الأحزاب، حيث اعترضت صخرة المسلمين وهم يحفرون الخندق فأخذ رسول الله معولاً وضربها ثلاث ضربات، وكان مع كل ضربة يبشر بفتح قطر من أقطار العالم، وكان المنافقون يستهزءون ويقولون كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

لكن المؤمنين قالوا كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ فازدادوا إيمانًا وتسليمًا لأنهم واثقون من صدق وعد الله بالنصر، إذ ليس بعد الشدة والزلزلة مع الثبات والصبر والمواجهة إلا النصر، وهذه سنة الله في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

وهنا أيضاً لا بد من توضيح مسألتين في هذه الآية الكريمة، الأولى هي: أن السؤال عن النصر في قوله سبحانه: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟﴾ ليس شكاً فيه بل هو سؤال عن زمن النصر ووقت تحققه وحصوله، فسألوا من منطلق الإيمان بالله ونصره وليس من باب اليأس.

والثانية هي: أن من سأل عن النصر هم المؤمنون في الميدان، الذين لم يشكوا في النصر ولم ييأسوا ولم ينبسوا ببنت شفة ولا حتى إشارة إلى الهزيمة والاستسلام واليأس، ولذلك فليس لأحد الحق أن يسأل عن النصر إلا من يؤمنون به، وهم من يتحركون في الميدان ويقدمون التضحيات ويخوضون غمار الصراع، فليس من حق القاعدين ولا المرجفين أن يسألوا عن النصر لأنهم غير مؤمنين به وإلا لتحركوا، فهم لا يقدمون ولا يبذلون شيئًا ولا يشاركون بأي عمل جهادي فليسوا جزءًا من المعركة ولا طرفًا في الصراع، بل إن السؤال الموجه لهؤلاء: لماذا طالت مدة قعودكم عن الجهاد في سبيل الله ومواجهة العدوان الذي افترضه الله عليكم كما افترض عليكم الصلاة والصيام؟ ومَنْ ييأس فهو من لا يتحرك، ومَنْ يتذمر فهو من لا يجاهد، ومَنْ يتشكى فهو إما قاعد أو يسمي نفسه محايداً.

فترة تأهيلية

فترة الابتلاء قبل النصر أيضاً هي فترة تأهيلية للمؤمنين وصقل لهم ولمواهبهم حتى يعتمدوا بعد الله على أنفسهم، فلا يتكلوا على شرق أو غرب ولا على «فلان» ولا «علان» ولا على دعم من الدولة الفلانية أو تلك، ولأن الاستسلام والتراجع ليس واردًا في أذهانهم وتفكيرهم على الإطلاق، يتجهون في ظل الصراع والمواجهة والحصار والحاجة وقوة الإرادة، إلى تصحيح مسار الحياة في

اتجاه الحرية والاستقلال والاكتفاء الذاتي ويؤسسون لمستقبل واعد، ويرفعون من نفسيات بقية الناس من المستضعفين المهزومين نفسيًا، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

فيتأهل المؤمنون في ظل الشدة والحصار والعدوان وتصقل مواهبهم وتتفجر طاقاتهم وإبداعاتهم وتتنوع قدراتهم، ويشعرون أنهم الأعلون كنتيجة للجانب الإيماني والنفسي والمعنوي الذي يحملونه، ويسعون نحو الاكتفاء الذاتي الزراعي ومن حيث التصنيع العسكري ومن حيث التدريب والتأهيل القتالي لعامة الناس، وإذا كان العدو كما نراه يراهن على الوقت والاستنزاف فإنا نشاهد ونلمس جهاداً وتصميماً لدى الأدمغة المؤمنة التي تصنع المعجزات، وها نحن نشاهد صناعة وتطوير وتعديل الصواريخ البالستية الاستراتيجية كصواريخ بركان١ وبركان٢ وفي القادم بركان ٣ وصواريخ الزلزال ١ ، ٢ ،٣ ، وصواريخ الصرخة، والنجم الثاقب، وصمود، وعاصف، وصواريخ قاهر١، وقاهر٢، وصناعة طائرات بلا طيار كطائرة هدهد ورقيب وقاصف وراصد وصناعة قذائف المدفعية وبناء قوات الدفاع الجوي وغيرها مما لم يُزاح الستار عنه من الصناعات العسكرية التي ستمثل مفاجآت كبرى للعدوان، والتي غيرت وستغير أكثر مسارات الحرب لصالح المستضعفين المظلومين المجاهدين من أبناء الشعب اليمني.

لقد كان الناس يستهزءون كثيرًا بأنفسهم كيمنيين ويقولون «شعب عرطة من حضرموت إلى صعدة» ويقولون نحن شعب مستهلك عاجز عن الصناعة والابتكار والاختراع، وأننا نستورد من الصين حتى الملخاخ وإبرة الخياطة، واليوم بفضل الله تعالى وفي ظل الفترة التأهيلية ها نحن صنعنا صواريخ الزلزال

البالستية والبركان، وكم الفارق بين الملخاخ والإبرة وبين الصاروخ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

نماذج قرآنية تلخص قضية النصر من حيث التوقيت والكيفية

لكي نفهم متى وكيف ننتصر بإذن الله تعالى علينا فهم السنة الإلهية في كيفية نصر الله تعالى لعباده المؤمنين وذلك من خلال القصص القرآني وسنذكر قصتين توضح بجلاء السنة الإلهية في هذا الشأن:

١ـ قصة موسى عليه السلام

إن قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل مع فرعون من أهم القصص والنماذج للصراع بين الحق والباطل وانتصار الحق في النهاية، حيث لم يأت النصر لبني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام رغم ما عانوا من ذبح أبنائهم واستحياء نسائهم والبلاء العظيم الذي نالهم إلا في آخر اللحظات، حينما وصلوا إلى شاطئ البحر وفرعون يتبعهم بجيشه فأصبحوا بين فكي كماشة - كما يُقال - فالبحر من أمامهم وفرعون من ورائهم وهم لا يملكون سلاحًا ولا سفنًا وهم قلة ومعهم الأطفال والنساء والعجزة من كبار السن والمرضى، وبالعرف البشري وبالمنطق والحساب العسكري والميزان المادي فإنها نهايتهم على يد فرعون أو بالغرق في البحر، في هذا الموقف الشديد حكى الله تعالى عن موقفهم بقوله: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ فاعتبروا أن لا أفق لنجاتهم وأنها نهايتهم.

ولكن كان موقف موسى عليه السلام مختلفاً عنهم حيث كان موقف المطمئن الواثق بالله تعالى وبفرجه ونصره، ولم يكن يعرف كيف! ولذلك رد على أصحابه وقال كما حكى الله تعالى عنه: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ هو متيقن بأن الله

تعالى سيهديه إلى طريق الخلاص، لكن كيف وبأي طريقة؟ هذا شأن إلهي، المهم أن إيمانه بالله ثابت وثقته به قوية وتوكله عليه دائم ويقينه بالفرج لا شك فيه، لقد أخبرهم أن الله تعالى سيهديهم إلى المخرج وسينجيهم من فرعون وجيشه ولم يكن موسى عليه السلام يعرف الكيفية ولا التفاصيل للخلاص رغم إيمانه العميق ويقينه المطلق بوعد الله بالفرج.

فجاء الأمر الإلهي الحاسم والغير متوقع لموسى بأن يضرب البحر بعصاه وسينفلق البحر إلى جبلين عظيمين من الماء ومن بينهما طريق يابسة معبدة صالحة للسير قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لقد جاء الأمر الإلهي فوق التوقع وفوق التصور، وكان حسب المنطق وحساب العقل البشري المادي أن يأتي الله بسفن مثلاً، أو بريح تقضي على فرعون وجيشه، ولكن أن يشق طريقاً يابسة من وسط البحر فلم يكن حتى موسى يتوقع ذلك، ولم يتوقع بنو إسرائيل أن البحر الذي خافوا الغرق فيه، هو من غرق فيه فرعون وجنوده الذين كانوا يخافون من وصوله إليهم وذبحهم، وفي هذه القصة آية لنا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فمهما حشد العدوان وفتح الجبهات المتعددة وزحف بآلاف المرتزقة والجيوش وقصف بالطائرات والبارجات وحاصر وو... الخ فإن النصر آتٍ لا محالة وبطريقة لا نعلمها وستكون فوق توقعاتنا طالما نحن متحركون ونقوم بكل ما نستطيع القيام به.

٢ـ غـزوة الأحـزاب

غزوة الأحزاب أنزل الله تعالى فيها سورة كاملة باسم الأحزاب، وحكى فيها وصوّر ما جرى في تلك الغزوة من أحداث ودروس وعبر وآيات ففيها حاصر المشركون المدينة بالتنسيق مع اليهود الذين نقضوا العهود والمواثيق وبتواطئ من المنافقين الذين كانوا يقومون بالإرجاف وبث الشائعات، وكان عدد الأحزاب كبيراً مقارنة بعدد المسلمين مما أثر على نفسيات بعض المسلمين، وكان الأفق مسدوداً في نظر البعض حتى ظنوا بالله الظنون وظنوا أنها النهاية، وقد شرح الله حالة المسلمين بدقة في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ فجاء النصر من حيث لم يتوقعوا وبطريقة لم تكن في حسبانهم، وهي قتل عمر بن ود العامري على يد أمير المؤمنين عليه السلام، وبعده الريح التي أبعدت الأحزاب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

فهذه سنة الله في توقيت وزمن مجيء النصر قال تعالى مخاطبًا لنا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ فما بعد الشدة إلا الفرج وكل ما ضاقت انفرجت.

وعلى العموم فالآية الثانية من سورة الحشر تلخص الموضوع برمته يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا

ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ فالآية توضح أن المسلمين لم يكونوا يتوقعون أن يخرج اليهود من بني النضير من المدينة، واليهود أنفسهم كانوا يعتقدون أن حصونهم المنيعة ستحميهم، ولكن الذي حصل أن أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ومن حيث لم يتوقع المسلمون أيضاً، وقذف في قلوبهم الرعب رغم حصونهم المنيعة التي خربوها بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ والبعض من الناس للأسف يرى أنه لا يمكن أن يندحر العدوان السعودي الأمريكي من كل البلاد، وتحالف العدوان يعتقدون أن ما يمتلكونه من سلاح وتكنولوجيا واقتصاد وإعلام سيحميهم ويمكنهم من الانتصار علينا، فآتاهم من حيث لم يحتسبوا حيث أن حساباتهم كانت مدة أسبوع أو شهر وينتهي كل شيء، وكانت حساباتهم أنه تم تدمير المخزون الاستراتيجي من الأسلحة والصواريخ البالستية اليمنية، وما حصل أننا قطعنا أكثر من عامين من الصمود، وصواريخنا ما زالت موجودة بل لم يحتسبوا أو يتوقعوا أن نصنع صواريخ أقوى فتكًا وأدق إصابة من المستورد، وقذف الله في قلوبهم الرعب وها نحن نرى جنودهم يخرجون من أكثر المدرعات تدريعًا ويتركونها خلفهم ويحرقها المجاهدون بولاعة وكرتون بفضل الله تعالى ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

الخلاصة أن الله تعالى يأتي بالنصر في أشد اللحظات وأصعب المواقف، ويهيئ المتغيرات والأحداث بالشكل الذي تكون تهيئة للنصر في الجانب النفسي والمادي، وقد يحصل هنا أوهناك أمر ما في الظاهر علينا وفي علم الله وحكمته لصالحنا من

حيث لا نشعر، فالله هو من يأتي بالنصر في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة والحكيمة، والله لا يعجل لأن من يعجل هو من يخاف الفوت وهو سبحانه لا يفوته شيء.

مواقف سلبية مع قضية النصر

من الناس من لا يريد للنصر أن يأتي ولا يريد للعدوان أن يتوقف لأنه مستفيد من العدوان بشكل أو بآخر، بل إن البعض من هؤلاء ليس في صف العدوان ولكنه يستفيد من الوضع تجارياً ويجني الأرباح الطائلة ويستغل الحصار ويستثمر معاناة الناس.

ومن الناس من يريد أن يتوقف العدوان لضيق حاله وشدة معاناته بالتنازل لدول العدوان ومرتزقتهم وليس بمواجهتهم والنصر عليهم، ويُحمّل المسؤولية عن الضيق والمعاناة وكل ما يجري المؤمنين المجاهدين الذين رفضوا الذل والخضوع للعدوان.

ومن الناس أيضاً من يستوي الأمر عنده سواء توقف العدوان بغلبته علينا أو بانتصارنا عليه، ويتذمر من الوضع ويقول: لا رحم الله من كان السبب، ويقصد بذلك المؤمنين المجاهدين من أبناء الجيش واللجان الشعبية والقوى الوطنية المناهضة للعدوان، ولكنه إذا حصل النصر على العدوان - وهذا ما سيحصل بإذن الله - فسيقول أنه كان مع المؤمنين المجاهدين يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ وهؤلاء سيخسرون دنياهم وآخرتهم.

ومن الناس كذلك من يتربص ويترقب من ينتصر ليكون معه، فإذا حصل تقدم للمجاهدين من أبناء الجيش واللجان الشعبية قال: لقد تقدمنا وانتصرنا، ويدخل نفسه معهم، وإذا حصل تراجع منهم هنا أو هناك قال: لقد تراجعوا وانهزموا، وأخرج نفسه منهم مبدياً تأييده للعدوان من باب تسجيل موقف للمستقبل ليثبت أنه كان في صف العدوان كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهؤلاء أيضاً سيخسرون دنياهم وآخرتهم.

ومن الناس من يريد النصر ويكثر من الدعاء في بيته وفي المسجد، ويكرر دائماً مقولة: الله يخارجنا، ويظهر بمظهر المؤمن التقي لكنه لا يقوم بأي دور جهادي، وغير مستعد أن يقدم أو يبذل شيئاً، ويظن أنه الأفضل والأقرب إلى الله تعالى، ويكثر من انتقاد المجاهدين في صغائر الأمور رغم ارتكابه لمعصية القعود عن الجهاد كالخوالف، وحين يحصل النصر يعتقد أنه بفضل دعائه ومن أجله، وهؤلاء كذلك قد حسم القرآن الكريم مآلهم.

معادلة النصر

ختاماً فمعادلة النصر قرآنياً ترتكز على عوامل نفسية إيمانية عملية في الميدان وحركة في الواقع ،وإعداد حسب الاستطاعة، وليست مشروطة بكثرة امكانات ولا بعدة وعتاد وعدد، ولهذا قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ولأن المعهود لدى الناس أن الفئة الكثيرة العدد والعدة هي من تنتصر حتى كادت أن تصبح قاعدة، ولكن إثبات العكس هو ما يلفت الانتباه ويقرر قاعدة تكررت في التاريخ الإيماني كثيراً وليست مجرد ادعاء، ويعطي

جرعة إيمانية لمن يتسلل الضعف إليه، وهذا ما يجب أن يترسخ في أذهان المؤمنين أمام كل كثرة، وأن عليهم أن ينبذوا من ثقافتهم ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾.

فالمعركة مع العدوان هي معركة إرادة وقوة ردع ووجود ومصير، وما تحقق إلى اليوم أذهل العالم وخيب توقعات الكثير ممن ظن أن اليمن لن تصمد أسبوعاً واحداً متأثرين بما جرى في افغانستان والعراق، واليوم شيء لا يصدق وفوق التصور في ظل الأزمات المتلاحقة والمؤامرات المتتالية والوضع الاقتصادي والاجتماعي والحصار والعدوان، أذهل الشعب اليمني العالم بصموده وصبره وبطولاته وقوة إرادته وحكمة وشجاعة قيادته وتنامي قوة ردعه للعدوان، حيث أصبحت المعادلة أنه كلما استمر العدوان كلما ابتكرنا وصنعنا واخترعنا، وكلما تغيرت مسارات الحرب لصالحنا على حساب تراجع العدو، وماذا بإمكانه أن يفعل فوق ما قد فعل؟ فلم يعد له من أمل إلا تخاذلنا وتفريطنا وتنازعنا وتفرقنا وهذا هو الخطر الكبير علينا، وماذا ينقص العدوان لكي ينتصر؟ فلا ينقصه سلاح أو عتاد أو جيوش أو أموال، لا ينقصه شيء من ذلك إلا أنه على باطل فلذلك لن ينتصر طالما نواجهه بإيمان في الميدان بكل ما نستطيع والله تعالى قد حكم بأن العاقبة للمتقين والنصر والتمكين للمؤمنين المجاهدين الصابرين غير المتخاذلين ولا المفرطين ولا المتنازعين المتفرقين.

إحدى الحسنيين ٢

ثقافة الشهادة

منشور صادر عن رابطة علماء اليمن

رابطة علماء اليمن